الإعلام الجديد وخطر انحراف الطفل عن قيم المجتمع الجزائري

د/ فاطمة الزهراء تنيو، كلية علوم الإعلام والاتصال والسمعي البصري جامعة صالح بوبنيدر- قسنطينة 3

تاريخ الاستقبال: 2018/05/22
تاريخ القبـــول: 2018/06/27

الملخص:

يحتل الإعلام الجديد في أيامنا مكانة كبيرة، وهو ما يعزز من فرص تأثيره على جمهور واسع ومتنوع، إلا أن استهدافه للأطفال بوجه خاص يعد لافتا. وتشير معظم البحوث والدراسات إلى تعاظم مكانة الإعلام الجديد بالنسبة للأطفال، حيث يشكل أطفال اليوم فئة واسعة من مستخدميه نظرا لما ينفقونه من وقت في التعرض، ولاعتماد جوانب من تكوينهم النفسي والاجتماعي والثقافي عليه بشكل من الأشكال.

وقد أصبحت وسائل الإعلام الجديدة أداة سهلة لإنتاج الجريمة والعنف والانحراف بمختلف أشكاله نظرا لما تمتلكه من إمكانيات تساعدها في التأثير على المجال المعرفي والوجداني والسلوكي للطفل الذي يكتسب معظم القيم والمقومات الثقافية من البيئة الرمزية التي بات الإعلام الجديد يشكل أحد مكوناتها.

إن هذه الورقة تتصدى لأبعاد هذه المخاوف المبررة التي يذكر بها رجال التربية كلما أتيحت لهم الفرصة.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الجديد، الطفل، الانحراف، القيم، المجتمع الجزائري.

Abstract:

New Media, nowadays, occupies a great position, which enhances the opportunities for its impact on a wide and varied audience, nevertheless, its targeting of children, in particular, is noticeable.Most of the research and studies point to the inceasing position of new media for children. Today, children form a wide range of users because of the time they spend in exposure to, and to adopt aspects of their psychological, social and cultural composition in some form. The New Media has become an easy tool to produce crime, violence and delinquency in its different forms because of its potential to influence the cognitive, emotional and behavioral side of the child who acquires most of the values and cultural constituents from the symbolic environment, in which, the new media is one of its components. This paper addresses the dimensions of these justified concerns mentioned by educators whenever they have the opportunity.

Key words: New media, child, delinquency, values, Algerian society.

مقدمة :

إن مرحلة الطفولة هي من أهم وأدق مراحل النمو الإنساني، ذلك أن ما يأخذه الإنسان في هذه المرحلة غالبا ما يؤثر في طبعه وسلوكه في مراحل حياته الأولى، ومجمل الدراسات والأبحاث الاجتماعية والنفسية المتعلقة بالطفل تؤكد على أن البيئة المحيطة بالطفل هي التي ترسم طباعه وتحدد سلوكه.

ويمكن القول أن من أضخم مكونات البيئة التي ينشأ فيها الطفل في عصرنا هذا هي وسائل الإعلام الجديدة، والخطر ليس في المشاهدة ذاتها بقدر ما هو في مضمون ما يشاهده هؤلاء الأطفال من محتويات العنف والجنس والعصيان التي تشد تفكير الأطفال والناشئين إلى أمور كثيرة ومثيرة، وتخلف لديهم اهتمامات قد تكون بلا جدوى أو ذات آثار سلبية على حياتهم الخاصة والمجتمعية.

إن وسائل الإعلام الجديدة أدت إلى تعدد الأطراف التي تشترك في تشكيل الناشئة، بعد أن كانت حكرا على الأسرة ومن ثم المدرسة، بل إن هذه الوسائل ربما فاقت أثر الأسرة والمدرسة، حيث يقدر بعض الباحثين أن الأطفال يقضون أمام الأنترنت وحده وقتا يعادل الوقت الذي يقضونه في المدرسة. مما جعل لوسائل الإعلام الجديدة في وقتنا الراهن آثارا خطيرة على الأطفال لما لها من قدرة فائقة في اجتذابهم بعد أن أصبحت تلاحقهم في كل مكان بالكلمة والصوت والصورة حتى وهم في غرف نومهم. ومن جهة أخرى تدفعهم إلى المحاكاة والتقليد والتحلل من القيم وتؤثر على قيمهم المجتمعية الأصيلة، وتؤثر على جانبهم النفسي بتنمية الميل لديهم للعنف والخوف والجريمة والجنس والانحراف، وتتدخل في توجهاتهم الثقافية وما يتلقونه من عقائد وأفكار وأخلاق وتضعف الوازع الديني لديهم. وتظهر قوة الرسائل الإعلامية التي يتعرض لها الأطفال من خلال القتل وأشكال العنف الأخرى التي تستخدم كطريقة للتعامل مع المشاكل والصراعات، ومن تدخين السجائر وتعاطي المسكرات والمخدرات وإظهارها على أنها جذابة ومريحة، وكذلك عرض المناظر الجنسية وكأنها بدون أضرار مثل الأمراض ونشر الأفكار الهدامة التي تحرض على التمرد على الواقع وتشجع على الإرهاب.

وتعرف المنظومة الأخلاقية في مجتمعنا انهيارا على جميع الأصعدة ولا سيما في الآونة الأخيرة، وقد يترجمه الارتفاع الملفت لمعدل الجريمة وحالات الانحراف وشبه الغياب للقيم الأخلاقية، مثلما بات يظهر في التعاملات اليومية بين مكونات المجتمع، حتى وصل إلى ما بين أفراد الأسرة الواحدة، ولعل التصرف الإجرامي عامة والتصرف المنحرف لدى الأطفال والناشئين بالخصوص ما هو إلا إفراز طبيعي لهيمنة هذا المناخ النفسي الاجتماعي والذي يساهم في تشكيله ما يعرف حاليا بالإعلام الجديد.

1- مفهوم الإعلام الجديد:

ظهر مفهوم الإعلام الجديد في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، وأكثر ما يثير في هذا الإنتاج الإعلامي الخطير أنه اقترب إلى حدود الاتصال وكاد ينصهر، والمعلوم أن وسائل الإعلام كتعريف وكمفهوم حددت على ثلاث أسس: الصحافة المكتوبة، الصحافة المسموعة – إذاعات – صحافة مرئية – تلفزيون، لكن بحلول ثورة الأنترنت وما يتعلق بها من منتجات إعلامية اتصالية جديدة جعل فك الارتباط بينهما أمرا ليس بالسهل، وماعدا وسائل الإعلام التقليدية الثلاث، كلما تبقى من نشاط اجتماعي – اتصالي يصب في خانة الاتصال: المؤتمرات، الندوات، المهرجانات، المحاضرات، السينما، المسرح، وانضم إليهم أخيرا مواقع التواصل الاجتماعي: فايس بوك، تويتر وما ينشر على الشبكة الإلكترونية العنكبوتية. (1)

وظهر الإعلام الجديد كمفهوم يتمحور حول الإعلام الديناميكي التفاعلي الذي يجمع بين النص والصوت والصورة في ملف واحد، والذي يشارك فيه القارئ أو المتلقي "أو الجمهور بصورة عامة" بدلا من أن يكون مستقبلا للرسالة الإعلامية فقط ومتأثرا بمضمونه، وأدى التطور التكنولوجي دورا فاعلا ومهما في إضفاء ما يعرف بالتفاعلية على هذا النوع من الإعلام، فأصبح بإمكان المستفيد "الجمهور" التفاعل مع الطرح الإعلامي وقراءته والتعليق عليه، بل أصبح هذا المستفيد – في بعض الأحيان– هو صانع المادة الخبرية نصا وصورة وتعليقا، ومن ثم أصبح مشاركا حقيقيا في العمل الإعلامي، وعلى سبيل المثال فإن الصحف الإلكترونية التي تعد إحدى أدوات الإعلام الجديد، صارت تتيح للقارئ التفاعل مع النص، وطرح آراء كثيرة ومتعددة حوله، والخروج بمجموعة من الرؤى والأفكار حول الموضوع الواحد، واستطاعت وسائل الإعلام الجديد ومواقع الشبكات الاجتماعية على الأنترنت " الفايس بوك Facebook وتويتر Twitter وماي سبيس myspace أن تخلق إعلاما مختلفا عن الإعلام التقليدي في الطرح والتفاعل وسرعة نقل الخبر وتدعيمه بالصورة الحية والمعبرة، ففي الظروف الطارئة والأحداث العالمية استطاعت هذه الشبكات أن تتفاعل مع هذه الأحداث على مدار الساعة، وتنقل الحدث أولا بأول ومن مكان حدوثه، ويواكب هذا النقل سرعة انتشار مذهلة لا يستطيع الإعلام التقليدي مجاراتها بأي حال من الأحوال وتحت أي ظرف من الظروف.

والإعلام الجديد لم يعد فيه نخبة متحكمة أو قادة إعلاميون، بل أصبح متاحا لجميع شرائح المجتمع وأفراده الدخول فيه واستخدامه والاستفادة منه طالما تمكنوا وأجادوا أدواته. وبهذا نستطيع أن نقول أن تكنولوجيا الإعلام الجديد فتحت بابا واسعا لحرية الإعلام لا يمكن إغلاقه، وهي وسيلة سهلة لإيصال المعلومات ونشرها إلى جميع أطراف العالم عن طريق وسائله (مواقع الشبكات الاجتماعية والمدونات والويكيبيديا والمنتديات وتويتر وموقع اليوتيوب). ويمكن تعريفه بأنه مجموعة من الأساليب والأنشطة الرقمية الجديدة التي تمكننا من إنتاج ونشر المحتوى الإعلامي وتلقيه بمختلف أشكاله من خلال الأجهزة الإلكترونية (الوسائط) المتصلة أو الغير متصلة بالأنترنت في عملية تفاعلية بين المرسل والمستقبل(2).

وعرفت وسائل الإعلام الجديدة أيضا بأنها: "تقنيات المعلومات والاتصال وسياقاتها الاجتماعية التي تتضمن ثلاثة عناصر رئيسية: (3)

- الأدوات المادية أو الأجهزة التي تمكن وتوسع قدرات الناس على الاتصال والتشارك.
- أنشطة الاتصال والممارسات التي ينخرط فيها الناس عندما يطورون ويستخدمون هذه الأجهزة.
- التركيبات الاجتماعية والأشكال التنظيمية الأوسع التي يبدعها الناس وينشؤونها حول الأدوات والممارسات.

والإعلام الجديد يمثل منظومة تواصلية جديدة تقوم على وسائط ومضامين ونماذج اقتصادية مستحدثة، فإذا كان الأنترنت يمثل الوسيط الإعلامي السادس (6^{eme} media) الذي تعتمده المؤسسات الاقتصادية في إستراتيجيتها الاتصالية (بعد الإذاعة والتلفزيون والصحافة والسينما والمعلقات) فهو بالنسبة للإعلام منظومة رابعة تضاف للمنظومات الكلاسيكية الثلاث، أي الصحافة المكتوبة والإذاعة والتلفزيون بدورها على نماذج تحريرية واقتصادية مخصوصة. (4)

وللإعلام الجديد مرادفات عدة، منها الإعلام الرقمي، والإعلام الاجتماعي، وصحافة المواطن، ومواقع التواصل الاجتماعي والإعلام التفاعلي.

ويتميز الإعلام الجديد بالعديد من الخصائص منها: [5]

- **التفاعلية**: بمعنى أن ممارسة الاتصال تكون ثنائية الاتجاه بين القائم بالاتصال والمتلقي، ويكون هناك تبادل للأدوار الاتصالية، ويكون الحوار حرا في الآراء والأفكار، وقد يكون مباشرا أو في حجرات المحادثة أو مواقع تبادل رسائل البريد الإلكترونية، وتطلق التفاعلية على الدرجة التي يكون فيها للمشاركين في عملية الاتصال تأثيرا على أدوار الآخرين.
- **المشاركة والانتشار**: بتطور الأنترنت ووسائل الاتصال، أصبح بالإمكان لكل شخص يمتلك أدوات بسيطة أن يكون ناشرا يرسل رسائله إلى الآخرين.
- **العالمية**: أصبحت بيئة الاتصال اليوم بيئة عالمية تتخطى حواجز الزمان والمكان والقارات والرقابة.
- **الحركة المرنة**: حيث يمكن نقل الوسائل الجديدة بحيث تصاحب المتلقي والمرسل، مثل الحاسب المتنقل وحاسب الأنترنت والهاتف الجوال، بالاستفادة من الشبكات اللاسلكية.
- **تجاوز الحدود الثقافية**: شبكة الأنترنت تلتقي فيها مئات الآلاف من الشبكات الدولية التي تتزايد كل عام بنسبة كبيرة، ومعها يتزايد عدد مستخدمي الأنترنت بطريقة غير مسبوقة، مما أدى بالتالي إلى تجاوز الحدود الجغرافية وسقوط الحواجز الثقافية.
- **اندماج الوسائط**: في الإعلام الجديد يتم استخدام كل وسائل الاتصال، مثل النصوص والصوت والصورة الثابتة والصورة المتحركة والرسوم البيانية ثنائية وثلاثية الأبعاد ..إلخ.
- **الحفظ والتخزين**: حيث أصبح بإمكان المتلقي أن يحفظ الرسائل الاتصالية ويخزنها ويسترجعها متى شاء ويستخدمها في الوقت المناسب.

2- تراجع القيم والميل إلى الانحراف:

تعد القيم من المفاهيم ذات الصلة الوطيدة بموضوع الأخلاق، وتعد من المحددات المهمة للسلوك الاجتماعي، وهي ذات علاقة وثيقة بشخصية الفرد، فبمعرفة قيم الشخص يمكن معرفة شخصيته. وهي عبارة عن معايير للحكم على السلوك وضبطه ضمن إطار فلسفة المجتمع وثقافته ومعاييره ومثله وعاداته وتقاليده. فالحياة الاجتماعية تتطلب وجود قيم ومعايير وبدونها تكون الحياة الاجتماعية مستحيلة، ولن يستطيع الأفراد والجماعات أداء وظائفهم إلا بوجود معيار أساسي يطمئنون إليه ويوجه سلوكهم ويضبط مواقفهم حتى تتماشى مع قيم المجتمع ومعتقداته وتتوافق مع الإطار المرجعي المحدد من طرف النظام الاجتماعي القائم والذي تعتبر القيم أحد أهم دعائمه للحفاظ على النسيج الاجتماعي وصونه من التفكك والزوال، والقيم عبارة عن نتاج اجتماعي يتعلمها الفرد ويكتسبها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تعد الأسرة أهم مؤسساتها إلى جانب مؤسسات المجتمع المختلفة لاكتساب القيم وتنميتها في نفوس النشء والصغار عن طريق الاحتكاك والتفاعل الاجتماعي، وفي علم الاجتماع فإن القيم تعتبر حقائق أساسية هامة في البناء الاجتماعي، إذ تعالج من وجهة النظر السوسيولوجية على أنها "عناصر بنائية تشتق أساسا من التفاعل الاجتماعي"[6]

أما الانحراف فتتفق الدراسات الاجتماعية على أنه ظاهرة اجتماعية تخضع في شكلها وأبعادها لقوانين حركة المجتمع، ويرتبط وجودها بجملة القيم والمعايير التي يرسمها هذا الأخير أمام أفراده، وعلى أساس درجة احترامها تصدر الأحكام الاجتماعية بخصوص انتهاكها أو الالتزام بها فهو "مجمل السلوكيات التي تعد خرقا للمعايير المتفق عليها اجتماعيا والمحددة من طرف جماعة أو مؤسسة في

مجتمع" وقد وضع مرتون سنة 1961 تعريفا يشير إلى أن السلوك الإنحرافي هو "السلوك الذي يخرج بشكل ملموس عن المعايير التي أقيمت للناس في ظروفهم الاجتماعية، فالإنحراف حسب نظره لا ينتقل من طبيعة الفعل ذاته وإنما يحدد بواسطة مجموعة من الظروف الاجتماعية. والحدث المنحرف يتعدى على كل المعايير والقيم والقواعد التي نظمها المجتمع، هذا الأخير الذي يجبر أفراده على احترامها ويتوقع بالضرورة التقيد بها، وهي المعايير التي اتفق عليها اجتماعيا. وهناك اهتمام آخر بالسياق الاجتماعي للأنساق الاجتماعية في الصياغة التي قدمها Sprott بقوله أن السلوك الإنحرافي هو محاولة من المشاركين للابتعاد عن القواعد الثقافية المقبولة للسلوك. (7)

والتصرف الإنحرافي لدى الأطفال والناشئين قد أضحى ظاهرة إنسانية ليس من اليسير التصدي لها نظرا لسيادة المناخ الذي تعيش فيه، ناهيك عن العديد من العوامل والمتغيرات التي عادة ما تحدث نتيجة لأسباب كثيرة. ثم أن مسألة التحكم في هذه الأسباب ليست بالأمر السهل والهين، فالتصدي للتصرف الإنحرافي لدى الأطفال والناشئين كظاهرة إنسانية هو أكثر صعوبة لعدة أسباب يمكن إيجازها كما يلي: (8)

1– أن مصطلح التصرف الإنحرافي لدى الأطفال والناشئين مصطلح يعاني الكثير من الغموض بدليل تعدد المرادفات التي تستعمل غالبا بمعنى واحد وهي: انحراف – جنوح – إجرام – إثم.

2– أن تحديد فترة الطفولة والمراهقة وإن حسمت على مستوى السن، فهي غير مدركة لدى من يتحكمون في مصير هذه الفئة من الناس على المستوى النفسي والبيولوجي والعقلي والاجتماعي.

3– الأمر الثالث في هذه المسالة يتعلق عموما بالمقاربات المعتمدة على المستوى العلمي، فلكل تيار من تيارات علم الإجرام تصوراته في تفسير التصرفات الانحرافية والأسباب المؤدية لها. وقد ظهرت هذه التيارات ولها مبرراتها وأدواتها وأساليبها العلمية، وفي نفس الوقت انتقدت بذات الأسلوب أو بأسلوب أكثر حدة، وسبب ذلك أن الظاهرة المرصودة مرتبطة بالإنسان بغض النظر عن شريحته العمرية التي ينتمي إليها، وهو سريع التأثر بمعطيات البيئة المحيطة وبكل مكوناتها الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبالتالي أصبح من الصعب التنبؤ بتصرفاته بعيدا عن بنيته النفسية والثقافية والبيولوجية.

4– أن السبب المشار إليه أدى إلى عدم وجود مقاربة واحدة يمكن الركون إليها بثقة مطلقة في تفسير التصرف المنحرف عامة ولدى الأطفال والناشئين خاصة والتعامل معه في ضوء هذه المقاربة.

5– أن اعتماد المنهج الواحد لرصد حقيقة هذه التصرفات يكفل أكبر قدر من الصلاحية العلمية وليس الثبات العلمي – وهو أمر غير كاف خاصة إزاء ظاهرة إنسانية لا يمكن حصرها في أساليب التكميم أو إلى مقولات العوامل السائدة التي تحول صاحب التصرف إلى مجرد رقم يمكن احتسابه دون اكتراث بقيمته الكيفية - وهي عراقيل تعوق الوصول إلى خلاصات علمية تحدد آليات المعرفة العلمية المساعدة على معرفة التصرف الإنحرافي لدى الأطفال والناشئين وعند الراشدين على حد سواء.

وهناك أكثر من نظرية تشير إلى قيام الأطفال بتقليد ما يعرض من أنماط سلوكية، بما في ذلك تقليد الجرمية المعروضة، وبذلك يؤدي هذا التقليد وفق هذا المنظور إلى الإجرام، على أساس أن التقليد هو "محاولة من جانب الفرد لإعادة تكرار أفكار وأنماط سلوكية أدركها من ملاحظته لفرد آخر، وقد تستقر تلك المحاولة عن نجاح أو فشل" ولكن مفهوم التقليد أخذ بالاختفاء، حيث أخذت مفاهيم أخرى تستخدم لفهم بعض عمليات التعلم منها التنشئة الاجتماعية والتثقيف، إذ أن مصطلح التقليد يعكس طابعا آليا بطمس معالم الطبيعة المركبة للعمليات النفسية والاجتماعية المتضمنة في التعلم، ومن هنا جاء الرأي القائل بأن التقليد هو مفهوم عام يلخص أنواعا

كثيرة من السلوك وينطبق عليها، مثل عدوى السلوك والتجانس والتسيير الاجتماعي، فكلها يمكن أن تسمى تقليدا على أساس أن السلوك الظاهر منها كله متشابه وهو سلوك يصدر عن الشخص لأن شخصا آخر صدر عنه هذا السلوك، وعلى أساس النظرة الجديدة إلى التقليد أصبح من اللازم تشخيص العلاقة بين الإجرام والتقليد من خلال متغيرات أكثر دقة(9).

3- الإعلام الجديد وإشكالية السلوك الإنحرافي لدى الأطفال:

لا ريب في كون الإعلام بكل وسائله المختلفة وما طالها من تطور تكنولوجي يمثل أهمية كبرى داخل المجتمعات المعاصرة، وقد ثبت بشكل متجدد أن المرء يحتاج إلى العديد من المثيرات الحسية على نحو دائم فالمخ لا يعمل من دونها، وأن أكثر المثيرات تأثيرا على المخ هي المثيرات المرئية التي تشكل 80% وربما أكثر من الانطباعات الحسية التي تستعمل للحصول على المعطيات عن البيئة، وهي المدخلات والانطباعات البصرية حسب دراسة Lester PM. Visual communication –Images and Messages.

وقد ساهم ويساهم الإعلام عامة والإعلام البصري خاصة، في عمليات التربية والتعليم موظفا التحول التكنولوجي الذي يعتمد على الفيديو والسينما وأجهزة عرض البيانات والأنترنت وعبر شاشات التلفزيون، كما كانت له أدوار مهمة في توسيع الحوار بين المجتمعات والشعوب والجماعات والأفراد. وأدوارا أخرى في عمليات التسويق بالإضافة إلى تأطيره لبرامج الاستجمام والترفيه خلال الأوقات الحرة التي تعد متاحة لدى الجميع وفق وتيرة زمنية موحدة.

وقد باتت إمكانية قراءة المعلومات والتواصل عبر الشبكات متاحة اليوم بطريقة سريعة ومبسطة وزهيدة، فتكنولوجيا المعلومات والأنترنت تشهدان نموا مستمرا بحيث يصح القول أن هناك ثورة في عالم المعلومات كان لها الفضل في تطوير المجتمعات العالمية وقلبها رأسا على عقب (10). وهذه المساهمات لم تخلو من سلبيات وصفها بعض الباحثين بعمليات تزييف الوعي وإخفاء الحقيقة واستثبات السطحية والوقتية والأمور العابرة على حساب الكينونة والحقيقة والجوهر. ومن بين هؤلاء السوسيولوجي الفرنسي المتميز "بيير بورديو" الذي وضع تحليلا للندوات التلفزية التي تنظمها قنوات التلفزيون واصفا إياها بأنها تبدو حرة لكنها ليست كذلك، حيث تدخل عمليات الرقابة المنظمة ومصادرة حق الكلام بالإضافة إلى ما يحدث من ريادة التنافس بين قنوات التلفزيون والمصورين الصحفيين سعيا وراء السبق الإعلامي وأحيانا على حساب القيم والأخلاق، وقد اعتبر بعض الباحثين أن للإعلام المرئي مسؤولية معنوية إزاء ارتفاع الجرائم وعن تدهور مستوى التربية والتعليم بسبب غزوه الكبير لكل البيوت والمحلات وهيمنة منتوجه على تأطير خبرات الأطفال والناشئين اليومية.

وقد لا يتسع المجال للتعمق في الأهمية المجتمعية للإعلام، وسيقتصر الحديث في هذا الجانب عن الإعلام الجديد كأداة تلعب دورا مهما يفترض أن يكون إيجابيا إزاء الأطفال والناشئين على الخصوص. لكن ما نلاحظه هو العكس، فقد أثر الإعلام الجديد واستحوذ على عقول الأطفال واستطاع أن يكون الموجه والمربي والمعلم والصديق لأكثر الأطفال في عصرنا، فأمكنة الأنترنت ودكاكين الأقراص المضغوطة والأشرطة الصوتية والمرئية قد أصبحت متاحة للعموم داخل الأحياء والشوارع ولا يحتاج فتحها لأي شرط ويسهل بواسطتها الاستماع أو المشاهدة لأي عمل إعلامي بمجرد الضغط على زر التشغيل. وهيمنة الإعلام الجديد قد ساهمت في الحد من قدرات القراءة، نظرا للتطور التكنولوجي المذهل الذي مكن من المشاهدة في أي بقعة من العالم، هذه الوسائل الإعلامية

وما تتميز به من سهولة الحصول على فرصة التلقي، تظل من أخطر العوامل التي قد تسهم في صياغة التصرف المنحرف لدى الأطفال[11].

وعندما تطرح مشكلة انحراف الأطفال وعلاقتها بوسائل الإعلام غالبا ما تعالج بكيفية جزئية معزولة عن البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع، وينظر إليها كأنها حالة مرضية يمكن علاجها كما تعالج الحالات الباتولوجية المرضية التي تعتري الجسم دون أن تبدو عليه أية تغييرات جوهرية، وهذا الطرح المبتور لمشكلة الجنوح وعلاقتها بوسائل الإعلام يعزز عملية الاختراق الثقافي والإعلامي للمجتمع، إذ أنه ينطلق من التسليم بشرعية البنيات الاجتماعية الثقافية والاقتصادية القائمة، وبأن أي خلل في هذه البنيات يمكن علاجه بأساليب "ترقيعية" يسمح لها بالانتعاش والاستمرار [12].

فوسائل الإعلام الجديدة يغلب عليها الإنتاج الغربي المروج لقيم وعادات غريبة عن قيمنا وعاداتنا، وتساهم في تشجيع الأطفال على الانحراف كلما كانت ظروفهم النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية مهيئة لتمثل هذا التأثير، وإعادة إفرازه على شكل سلوك منحرف وغير سوي، وهو يعزز من فرص انحراف الأطفال كلما كانت ظروفهم تدفعهم إلى الخروج عن قيم المجتمع وعاداته وتقاليده.

إن التأثير الذي ينبعث من وسائل الإعلام الجديدة في الراهن المعيش يمكن أن يكون له مردود إيجابي ونافع. والعكس صحيح. فعندما تنشر الأخبار المشبوهة والقصص التافهة غير ذات المضمون الإنساني، قد تثير دوافع غير المحصن نفسيا ومعرفيا وأخلاقيا وخاصة الطفل ما يؤدي إلى تمثل المواقف والمغامرات الهشة في حياته اليومية. وجعله يدخل في حالة من التقمص الذاتي والوجداني، الشيء الذي يجعله يحاول تقليد ما شاهده من صور وأفلام عنف وإجرام وجنس، وذلك عن طريق الاستبطان والتخزين اللاشعوري نتيجة الارتباط بشبكة الأنترنت لساعات طويلة، كما أن لوسائل الإعلام الجديدة نتائج سلبية على قيم الطفل، حيث تجعله يتبنى مفاهيم ومعتقدات وأحكام مسبقة، وفي الغالب خاطئة، دون إمكانية التحقيق من صحتها، مما يكون له تأثير في مستقبله على معاملاته مع العالم الخارجي، وتجعل الطفل يدخل في عزلة مع محيطه الأسري محدثة بذلك تقلصا في الأواصر الأسرية. [13]

إن الطفل أو الناشئ المشحون بشحنات الإيحاء المنبعثة من المواقف المثيرة، قد لا يتمكن من مقاومة ما بداخله وذلك لقلة تجاربه وعدم رجاحة عقله وقصور تقديره للنتائج المترتبة عن تصرفاته، ويزداد تأثير الأعمال الإعلامية حينما نتصور حوادث الإجرام وكأنها قصص بطولية. إن تلك المضامين الرخيصة المبتذلة تؤثر في بعض الأطفال والناشئين وتساهم في رسم النماذج لمخططات حياتهم وتصرفاتهم وتعطيهم إحساسا خفيا بأن هناك طريقة أخرى للحياة خلافا لطريقة الكسب المشروع وأن حياة الانحراف والجنوح مليئة بمظاهر الشجاعة والبطولة والذكاء.

فلا خلاف في أن الإعلام الجديد بالخصوص يخلق وضعا نفسيا خاصا يختلف من شخص إلى آخر، ومرد هذا الاختلاف هو درجة التحصين لدى الفرد. فالطفل الذي يعيش تنشئة اجتماعية سوية يكون تأثير مضمون الإعلام عليه إيجابيا وإمكانية تأثره بالمضمون الإعلامي الرديء ضعيفة إلى حد كبير، بيد أن الطفل الذي يعيش ظروفا اجتماعية صعبة غير مريحة فدرجة التأثير غير المرغوب فيه تعمل في وجدانه بطريقة سيئة وبالتالي سيكون المردود سلبيا ومن هنا احتمال كل عوامل الإقدام على التصرف الإنحرافي.

وتشير بعض الدراسات الميدانية التي قام بها عدد من الباحثين المتتبعين لحالة التصرف الانحرافي لدى الأطفال والناشئين، بأن للإعلام المرئي درجة تأثير كبيرة في صياغة التصرف المنحرف لدى الأطفال والناشئين المحالين على مراكز حماية الطفولة والأجنحة الإصلاحية التابعة لإدارة السجون.

وقد أظهرت أحدث الدراسات التي أجريت في هذا الصدد حول علاقة الإعلام المرئي بالتصرف المنحرف لدى الأطفال والناشئين النتائج التالية: (14)

– 49% من المبحوثين ساهمت مضامين العنف والرعب في تكوين الرغبة لديهم في حمل السلاح الأبيض واختيار العنف كوسيلة لحل كل ما يعترضهم من مشاكل مع الغير.

– 28 % من المبحوثين استنهلوا أساليب السرقة من خلال الأفلام المسماة بالبوليسية.

– 21 % استفادوا من الإعلام الجديد في كيفيات إخفاء آثار تصرفاتهم المنحرفة.

– 12% قاموا بتقليد ممثل يقترف تصرفا إجراميا في شريط سينمائي.

– 45% أوحت إليهم وسائل الإعلام بفكرة كسب المال بصورة سهلة.

– 26 % أوحت إليهم بالممارسات الجنسية الشاذة والدعارة والاغتصاب.

وتجدر الإشارة إلى أن تأثيرات مضامين الإعلام الجديد على الأطفال تبدأ من نقل أخلاق ونمط حياة البيئات الأخرى إلى مجتمعنا ونقل قيم جديدة وتقاليد غريبة تؤدي إلى التصادم بين القديم والحديث، وخلخلة نسق القيم في عقول الأطفال من خلال المفاهيم الأجنبية التي يشاهدها الطفل، ومشاهدة العنف في أفلام الأطفال والذي بدوره يثير العنف في سلوك البعض منهم، كما أن تكرار المشاهدة يؤدي إلى تبلد الإحساس بالخطر وإلى قبول العنف كوسيلة استجابة تلقائية لمواجهة بعض مواقف الصراعات وممارسة السلوك العنيف، ويؤدي ذلك إلى اكتساب الأطفال سلوكيات عدوانية مخيفة، إذ أن تكرار أعمال العنف الجسمانية والأدوار التي تتصل بالجريمة والأفعال ضد القانون يؤدي بالضرورة إلى انحراف الأطفال.

ومن التأثيرات السلبية للإعلام الجديد على سلوك الأطفال نذكر: (15)

أولا: التأثير العقائدي من خلال تقديم مفاهيم عقدية أو فكرية مخالفة للإسلام واشتمالها على بعض الأفكار والعبارات القادحة في العقيدة ومن ذلك زعزعة عقيدة الطفل، كالتذمر من القدر والاعتراض على تدبير الله والتمجيد للسحر وغير ذلك. وحتى إن كانت لهذه الوسائل فوائد متنوعة لا سيما في مجال المعلومات والترفيه، إلا أن تلك الفوائد ليست خالصة، بل يشوبها كثير من المضار خاصة على الأطفال إذا ما علمنا أن مصادر ما يبث من معلومات تأتي في الأغلب من بيئات مختلفة عنا ثقافة وقيما ودينا، وهذا يحملنا جميعا مسؤولية كبيرة اتجاه أطفالنا ابتداء من الأسرة ممثلة بالوالدين، ومرورا بالعلماء والتربويين، وانتهاء بالحكومات ممثلة في مؤسساتها المختلفة من وزارات الإعلام والتربية والشؤون الدينية والثقافة والشباب.

ثانيا: التأثير الأخلاقي، فالإعلام الجديد يتميز بأن له تأثير مباشر على الجانب الأخلاقي والسلوكي، فهو يعزز لدى الأطفال الممارسات غير الأخلاقية من خلال ما يشاهدونه عبر مواقع الأنترنت، الأمر الذي يؤدي إلى التمرد على القيم والعادات الاجتماعية السائدة وتفشي الرذيلة والتشكيك في قيم الأمة ومعتقداتها ومكنوناتها.

ثالثا: التأثير الأمني، ويتمثل في صورتين:

أ- ما تبنيه هذه المضامين من سلوك يدعو للعنف والجريمة والاستخفاف بالحقوق والدماء.

ب- زعزعة روح انتماء وولاء الطفل لأمته بحيث يرتبط فكره وسلوكه وحبه وولاءه ونصرته لما تبنيه وترسخه هذه المضامين من قيم وثقافات متناقضة لثقافة أمته.

رابعا: التأثير الجسمي (البدني) ويظهر ذلك في التأثير على بناء شخصية الطفل وعلى صحته. وجاء في التقرير الذي نشرته مجلة اليونسكو عن نتائج الاستطلاع الياباني المتعلق بتأثير وسائل الإعلام على الطفل: "إن فيض المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام الجديدة يعطل تطور القدرات التأملية الخلاقة لدى الأطفال"

ويمكن أن نلخص جملة من مظاهر تأثير الإعلام الحديث على المستوى الأخلاقي والسلوكي في هذه النقاط: (16)

1- تدل الإحصائيات التي أجريت في إسبانيا، أن 39% من الأحداث التي قام بها بعض المنحرفين، قد اقتبسوا أفكارها من مشاهدة الأفلام والبرامج العدوانية وتصفحهم لبعض المواقع.

2- هناك مواقع وقنوات تروج للكثير من العادات السيئة، حيث يترسخ في ذهن الأطفال أن الإنسان إذا صادفه مشكل أو قلق أو فشل، يتجه إلى شرب الخمر أو التدخين.

3- كثير من القنوات وصفحات الأنترنت، تثير السلوك العدواني من خلال مواقع الألعاب.

4- يستعمل الأطفال حاسة البصر أكثر من استعمالهم للحواس الأخرى، وهذا يؤدي إلى عدم التوافق والتوازن في القدرة التحليلية أثناء التفكير، كما تقول الباحثة الأمريكية ''باتريسيا ترينفيلد'': ''إن ما تغير خلال الخمسين سنة المنقضية، هو استخدام الطفل لعينيه أكثر من حواسه الأخرى، مما جعل قدرة الطفل التحليلية البصرية تفوق قدراته التحليلية الأخرى.

إن ما نراه من ضياع وتدمر الأطفال، يعود إلى ما تروج له وسائل الإعلام ومضامينها المنحرفة، كما يعود من جهة أخرى إلى استخفاف الأسرة بمسؤوليتها اتجاه أطفالها، فالأبوان اللذان يسمحان لأولادهم بمشاهدة المضامين الهادمة والماجنة واستعمال الأنترنت دون رقابة وممارسة الألعاب الالكترونية والإدمان عليها، والأبوان اللذان يسمحان لأولادهم أن يشاهدوا الأفلام والمسلسلات الغرامية التي توجه إلى الميوعة والانحلال وأفلام (الأكشن) التي تحث على الانحراف والإجرام وهي بتأثيرها تفسد الكبار فضلا عن الصغار، لاشك أن الأولاد سيفقدون في نفوسهم أنبل معاني الرجولة والنخوة والأدب، وبالتالي تكون القيم الفطرية مهددة. ولا شك أن هذين الأبوين يقذفان بأولادهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون إلى هاوية سحيقة ستؤدي إلى ما لا يحمد عقباه.

ومهما بلغ حجم الدعوة إلى استعمال التقنيات الحديثة والبرامج الإعلامية للمساعدة في تربية النشء فإن على الأسرة أن تتحرى الأمانة في اختيار البرامج والأنظمة التقنية المناسبة التي تحمي فطرة الطفل، وأن تضطلع بمسؤوليتها كاملة في تقدير حدود الانفتاح والتوجيه والرقابة لتحقيق التوازن بين ما هو أصيل في النفس البشرية وما هو حكمة يفرض علينا واقعنا الأخذ بها. كما أن مراقبة البرامج الإعلامية التي يشاهدها الطفل يجب أن تمنع ما يتعارض مع المثل والقيم الدينية والدنيوية. (17)

وعلى هذا الأساس فإن الإسهام في وضع صياغة لسياسة وقائية ضد التصرفات المنحرفة لدى الأطفال والناشئين تحتاج إلى التوقف بنوع من التريث عند المحطات التالية:

1- الأسرة.

2- المدرسة.

3- الحي.

4- الإعلام.

ويمكن القول أنه ورغم هذه التأثيرات السلبية لمضامين الإعلام الجديد، فلا يمكن إنكار أهميتة، حيث حول العالم إلى قرية صغيرة يسهل عبرها التواصل والتفاعل والتضامن بين كل ساكني المعمورة. إلا أن هذا العطاء الحضاري لا يزيح عنه نعت السلاح ذو الحدين. حيث يكون من ناحية أداة للتربية والتعليم والتثقيف والتنمية والتحضر وتيسير سبل التواصل الفعال وتقريب المسافات الحميمية وإرساء أواصر التضامن بين الأفراد والمجتمعات الإنسانية. أو يكون إذا أسيئ استعماله معولا للهدم وتخريب للإنسان وتشييئه وانحلال القيم والروابط الإنسانية وتعميق التخلف واستتباب الفساد وتهديد الاستقرار الشخصي والجماعي والمجتمعي.

الخاتمة:

أخيرا فإن الحديث عن سياسة وقائية أو علاجية لهذه الظاهرة يتطلب الإقدام على إصلاحات تبدأ من الأسرة، حيث يستلزم على الوالدين وضع قيود على ما يشاهده أطفالهم عبر الأنترنت وألعاب الكمبيوتر وغيرها من وسائل الإعلام الجديد التي يستخدمونها، كما أن "التربية الإعلامية" للأطفال ضرورية وتبدأ بفلترة رسائل وسائل الإعلام، وذلك عن طريق تطوير مهارات التساؤل حول تلك الرسائل وتحليلها وتقييمها في مناخ غير قمعي يسمح بالحوار والشفافية والمصارحة بين الطفل ووالديه.

كذلك يجب الحديث عن إصلاحات دستورية وقانونية قادرة على إحداث القطيعة مع كل صنوف الاستبداد الإعلامي، وصياغة مؤسسات قادرة على حفز الهمم وتوحيد الجهود واستثمار الطاقات والقدرات وتمكينها من إيجاز قراءة جديدة لرسالة المجتمع وتوظيفها في تنشئة وصيانة الأطفال وتأهيلهم لبذل جهودهم بأكثر فاعلية والتفكير بالواجب وفي حق كل إنسان في قواعد حرية التفكير والاختيار، وهذا من مسؤوليات مكونات التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة والمسجد والإعلام.

الهوامش:

1- فاطمة الزهراء تنيو: الاتصال الدولي والهيمنة، دار ألفا للوثائق للنشر والتوزيع، الجزائر 2018 ص 81.

2- ماهر عودة الشمايلة وآخرون: الإعلام الرقمي الجديد، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع ط1 الأردن 2015 ص 19.

3- ليا ليفرو: وسائل الإعلام الجديدة البديلة والناشطة، ترجمة هبة ربيع، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2010 ص 14.

4- الصادق لحمامي: الإعلام الجديد مقاربة تواصلية، مجلة إتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 4، 2006 ص 3.

5- العطري بن عزوز: الإعلام الجديد والشباب، موقع مجلة حراء، مجلة علمية فكرية أدبية ثقافية، العدد 58.

نشر بتاريخ: 2017/03/21، وتم استرجاعه بتاريخ: 2017/12/10

http://hiragate.com/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A8%D8%A7%D8%A8/

6- محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1989 ص 504.

7- نصيرة خلايفية: التصورات الاجتماعية لدور المدرسة عند الأحداث المنحرفين، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة **2012** ص ص **126- 127**.

8- عبد الله أبو إياد العلوي: الأطفال ومتطلبات التحصين ضد الإنحراف

نشر بتاريخ: 2009/07/19

تم استرجاعه بتاريخ: 2017/12/09

https://sites.google.com/site/socioalger1/lm-alajtma/mwady-amte/alatfal-w-mttlbat-althsyn-dd-alanhraf

9- هادي نعمان الهيتي: الإعلام والطفل، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن 2011 ص ص 185- 186.

10- مروى عصام صلاح ومحمود عزت اللحام: إعلام الأطفال – ماله وما عليه – دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع ط1 الأردن 2015 ص 240.

11- عبد الله أبو إياد العلوي: الأطفال ومتطلبات التحصين ضد الإنحراف، موقع سبق ذكره.

12- عبد الرزاق محمد الدليمي: وسائل الإعلام والطفل، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1 الأردن 2012 ص 89.

13- نفس المرجع ص 91.

14- عبد الله أبو إياد العلوي، الأطفال ومتطلبات التحصين ضد الإنحراف، موقع سبق ذكره.

15- تيسير بن سعد بن راشد أبو حيمد: وسائل الإعلام وأثرها على الأطفال، نشر بتاريخ: 2007/07/01، وتم استرجاعه بتاريخ: 2017/12/10، متوفر على الرابط: **http://www.alukah.net/social/0/18784/**

16- العطري بن عزوز: الإعلام الجديد والشباب، موقع سبق ذكره.

17- يوسف القسطاسي: تأثير وسائل الإعلام على الأطفال، نشر بتاريخ: 2012/03/02، وتم استرجاعه بتاريخ: 2017/12/09

18- **https://www.aljamaa.net/ar/2012/03/02/%D8%AA%D8%A3%D8%AB%D9%8A%D8%B1-%D9%88%D8%B3%D8%A7%D8%A6%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B7%D9%81%D8%A7%D9%84/**

ـ الإعلام الجديد وخطر انحراف الطفل عن قيم المجتمع الجزائري ـــــــ